

الباب الاول

في الوعظ - وفيه عدة فصول

الفصل الاول - في مبادئ الوعظ والارشاد

الوعظ والموعظة والمظة كما في القاموس تذكر الشخص ما يابن قلبه من الثواب والعقاب يقال وعظته فاعظ اذا أثرت فيه الموعظة وأفادت . والارشاد والرشد بضم فسكون والرشد بفتحات . الهداية والاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه . يقال استرشد الشخص اذا اطلب الرشد أو اهتدى - ويطلق الوعظ والارشاد في العرف على الخطابة الدينية سواء كانت تعليمية لبيان المسائل الشرعية اعتقادية أو عملية أو أخلاقية . أو تأديبية لا يقاظ الناس من غفلاتهم بالنصح والتذكير بالمواقب

وموضوعه - اصلاح النفوس البشرية التي اذا صلحت صلاح الجسد كله . وغايته صلاح المعاش والمعاد والنفوس بسمادة الدارين . وفضله عظيم فإنه متعلق بطب الارواح وتهذيب

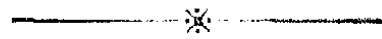
النفوس لتصل الى السمادة . قال بعض الحكماء - الموعظة
موقظة للقلوب من سنة الغفلة . ومنقذة للبصائر من
سكرة الخيرة . ومحمية لها من موت الجهالة ومستخرجة
لها من ضيق الضلالة .

وحكمه - الوجوب الكفائي عند التعدد . والمعنى على
من انفرده به فإن حاجة الناس اليه شديدة . وذلك لانه
لما كان الانسان موصفا للسهو والنسيان . ومحلا للذهول
والغفلة وجب أن يكون له مذكر دائم . وواعظ مستمر
يهديه الى قصد السبيل وجادة المحجة كما جارت به الخيالات
الفاسدة . والوساوس الرديئة . ولتحصيل ذلك ورد الامر
به كتابا وسنة قال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون على المنكر وأولئك هم
المفلحون » وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال « والذي نفسى بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون
عن المنكر أوليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم
تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذى وقال حديث
حسن . الى غير ذلك من الآيات والأخبار .

ويعتاز فن الوعظ والأرشاد عن بقية فنون الخطابة
بأمور منها أولا أنه وظيفة الانبياء والمرسلين . ومن على
سنتهم من العلماء العاملين والعظماء المجاهدين . والهداية
الراشدين - فأنهم أنما بعثوا لهداية العالم . وسن طريقة
السعادة للناس في الدارين بتعليمهم عند الجهالة وأيقاظهم
وقت الغفلة . وأيقافهم عند حدود الأدب عند التمردينهضوا
بهم من حضيض الجهل والرذيلة الى ذروة العلم والفضيلة
ثانيا - من حيث موضوعه الذي هو أشرف الأمور
وأخطرها أعنى الأمور الروحية - ثالثا - من حيث الفائدة
أى سعادة الحياة بالتحلى بالفضيلة . والتخلى عن الرذيلة
ثم الفوز بالسعادة الأبدية . وفوائده - معلوم ان الامراض
والعالم تعرض للأجسام فتذهب بجهاها . وكثيرا ما تودى
بحياتها اذا لم تسعف بالعلاج الناجع قبل استفحالها واشتداد
خطرها . والقلوب كالأجسام يمرض لها من الأمراض
والعالم ما يطفىء نورها . وقد يفقدها حياتها . وذلك بورودها
موارد الفنى والضلال . وانهما كها في الشهوات واللذات
والتهاون بالأوامر والنواهي . وعدم المبالاة بأنواع الفسوق

والفجور وسيئات البدع . ونبذ الآداب الدينية . والأخلاق
 الحميدة . وارتكاب كل ما لا يرضاه الشرع والعقل من الشرور
 والقبائح . فهذه لاشك أمراض النفوس وعلاؤها . ولا علاج
 لها إلا مراهم الشريعة الفراء المركبة من كيمياء علميا كيمياويا دقيقا
 من أجزاء الخطب والمواعظ . والارشادات والنصائح فهذه
 المواعظ والنصائح دون سواها تصح النفوس . وتسام القلوب
 من المخاطر . وتخرج عن غيها إلى رشادها . وتمدل عن
 الطريق الموجب إلى الصراط السوي . وبالوعظ والارشاد
 تهذب النفوس . وتتنبه العقول من غفلتها . وتستيقظ من
 قنوتها . وتستنير بنور الطاعة بعد أن أظلمتها المعاصي .
 وعلى الجملة فالوعظ والارشاد هو الدواء الوحيد لصالح
 العالم والعلاج الوحيد لشفاء القلوب من أمراضها . ولأسلامة
 العالم من مخاطر الشقاء ألا به . ولا ريب أنه متى ترك
 علاج القلوب من هذه الأمراض استفحل أمرها . ومتى أهمل
 تطهير النفوس من أدران النقائص والذائل . انتشر الفساد .
 وهلك العباد . وعم الشقاء . وزاد البلاء . وساء حال المجتمع
 الانساني - لهذا جاء الدين الحنيف بالحث على الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر . وتشديد التذكير على من أخطأها
ومضار أغفالهما تكاد تلمس باليد . والبرهان الحسى قائم على
أن الأمة التى انتشر فيها الوعاظ والخطباء تحيا بمقدار كثرتهم
وتأثيرهم . وأن المعنى الذى يتناولونه فى نصيحهم وأرشادهم
يكون أكثر انتشارا . وأشد رسوخا فى نفوس تلك الأمة .
وأن الأمة اذا فرطت أو أفرطت فى شئ يستعان دائما على
اعتدالها بوعاظها وخطبائها . فالواعظ الماهر . والخطيب
الحكيم يستطيع بما وهبه الله من نور الحكمة . وقاطع
الحجة . وساطع البرهان . وقوة البيان . ومتانة علمه بتأليف
وتركيب الادوية النافعة أن يصحح القلوب من أمراضها .
ويهذب النفوس من أدوان النقائص والذائل حتى ترجع
عن غيرا وتعود الى حد الاعتدال . وتتحلى بالفضائل والكمال



الفصل الثانى - فى آداب الواعظ والمرشد

قد عرفت أن الدعوة الى الله تعالى مهمة الانبياء
والمرسلين . والسادة العلماء نواب عن الانبياء فى هذه المهمة

فهم أمناء الله على شرعه. والقائمون على حدود الله. والحافظون
لدينه القويم. والمارفون بما يجب له تعالى من كمال وتنزيه.
فكانوا لذلك أئمة الناس وقادة الخلق يسرون بهم نحو السعادة
بما يرشدونهم اليه من التحلى بالفضيلة والتخلى عن الرذيلة
اعتقد الناس فيهم ذلك. وأما وهم له فأحلوهم من أنفسهم
محلا لم يبلغه سواهم من البشر حتى اكتسبوا في قلوبهم مكانة
يغبطون عليها. وربحوا منزلة تصبو إليها نفوس ذوى الهمة
والفضل. وناهيك بقوم اذا فعلوا لحظتهم العيون. واذا
قالوا أصغت لهم الاذان ووعت القلوب. فهم مطمح
الانظار. وعمل الثقة. والبرهان القاطع والنور الساطع
للناس أجمعين (ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل
صالحاً وقال انى من المسلمين) حقاً ليس أحد أعظم
شأناً وأسهل حالاً ممن جمع بين هذه الفضائل الثلاث فكان
موحداً لمولاه عارفاً بربه معتقداً لدين الاسلام عاملاً بالخير
داعياً اليه — وما هم الا طبقة العلماء العاممين الدعاة الى الله
تعالى من ذوى القلوب الحية والايان الصادق. والا خلاص
الصحيح ولا ريب أن الله عز وجل ربط سعادة الانسان

في الدنيا والآخرة بالوقوف عند حدوده وامتنال الاوامر واجتناب النواهي . وأنه على مقدار وقوف العبد عند حد الأدب يكون حظه من تلك السعادة - وغنى عن البيان أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة العلماء . ومنهم وحدهم يتعلمها سائر الناس . فأذن سعادة الامة في قبضة السادة العلماء . ومن هنا كانت وظائفهم خطيرة . ومسئوليتهم عظيمة - وتزداد وظائفهم خطورة . ومسئوليتهم عظما اذا هم تصدروا للوعظ والارشاد - لهذا وجب أن تتوفر في المرشد الديني الصفات الآتية .

الصفة الاولى - العلم بالحقائق الدينية مع الصدق في نشرها فأنت مرتبة التبليغ عن الله تعالى لم تكن الا لمن اتصف بالصدق مع العلم . والمرشد وارث لهذه الصفة . فأما الجاهل الكذاب فهو ضال مضل وضره أقرب من نفعه اذ الجاهل لا يتميز له بين الحق والباطل ولا معرفة ترشده الى اصلاح القلوب وتهذيب النفوس . ومن سلك طريقا بغير دليل ضل . أو تمسك بغير أصل زل وأما الكاذب فلعنة الله عليه .

الصفة الثانية - العمل بما يقول فلا يكذب فعله قوله .
بلى لا يأمر بالشئ ، ما لم يكن هو أول عامل به - فأما اذا
كان يأمر بالخير ولا يفعله . وينهى عن الشر وهو واقع فيه
فهو بحاله هذا عيبة في طريق الاصلاح وهيئات هيئات أن
ينتفع به . قال مالك بن دينار أن العالم اذا لم يعمل بعلمه زالت
موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وكان موضع
حيرة البسطاء . وفحل سجيرية في نظر العقلاء وكل من
تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك يسخر
الناس به . واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون
لولا أنه أطيب الاشياء وألذها لما كان يستأثر به . كذلك
الواعظ اذا أمر بما لا يفعله - ولذلك كان بعض الوعاظ
لا يذكر لهم في فضائل العتق حتى أمكنه الله من شراء
دقيق فأعتقه فذكر لهم فضل من أعتق لله تعالى حتى
يكون له تأثير على قلوبهم . ومن لم يكابد الليل وسهره
وقيامه . فكيف يسمع منه فضل من أقامه وأحياه .
وأیضا فالواعظ من الموعوظ يجرى مجرى الطابع من
المطبوع فكما أنه محال أن ينطبع نحو الطين على الطابع

بما ليس منتقشا به كذلك محال أن يحصل في نفس الموعوظ
 ما ليس بوجود من الواعظ . فإذا لم يكن الواعظ ألاذا قول
 مجرد من الفعل لم يتلاق عنه الموعوظ ألا القول دون الفعل
 وأيضا فمثل المرشد من المسترشدين مثل العود من الظل . فكما
 أنه محال أن يعوج العود ويستقيم الظل كذلك محال أن
 يعوج المرشد ويستقيم المسترشدون . قال حجة الاسلام
 الغزالي أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلا له لأن الوعظ
 زكاة نصابه الاتعاظ فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة .
 وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود
 أعوج ولذا قيل في المعنى

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم
 وقال تعالى (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم
 وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) وقال تعالى (يا أيها الذين
 آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا
 مالا تفعلون) ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من
 وزر الجاهل . قال أبو الدرداء رضى الله عنه . ويل للجاهل
 مرة وويل للعالم سبع مرات إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون

به ولذا قيل . زلة العالم زلة العالم . ومن سمن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن يتقص من أوزارهم شيئا ولذلك قال الامام على رضى الله عنه قصم ظهري رجالان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه ومن هنا كان عقاب الوعاظ الذين يخالف أفعالهم أقوالهم أن تقرض السننهم وشفهاهم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت كما كانت نسأل الله تعالى السلامة

الصفة الثالثة . الحليم فلو كان غليظ الطبع انصرفت الناس من حوله وحرموا الانتفاع بعلمه . وذلك هو الشقاء وهو سببه وعلمته

الصفة الرابعة . الشجاعة حتى لا تأخذه في الله لومة لائم . فمن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه أو صانى خليلي بخصال من الخير . أو صانى الا أخاف في الله لومة لائم . وأن أقول الحق ولو كان مرا . فان كان جباناً ضعيف القلب عجز عن الاخذ بناصر الحق وتغيير المنكر وتقرب الى الناس بأنواع المداينة وتودد اليهم بضروب الملق وما هكذا تكون

الاطباء ولا اللائق بقيادة الامم - الطبيب الماهر هو الذي اذا عرف نوع المرض في أى شخص كان يبادر الى علاجه بما يستأصله حرصاً على سلامة المريض وهو لا يبالى بكرامة المريض للدواء وتألمه من العلاج فأما اذا عمل لذلك حساباً وتساهل مع المريض حتى استفحل أمر المرض واستعصى على الدواء فأودى بحياة المريض فإنه غاش لا ناصح وسفيه لا حكيم

الصفة الخامسة . العفة والياس مما فى أيدي الناس فإنه ان كان غير عفيف تطلع الى ما فى أيديهم وهان عليه ما يلافيه من أنواع الذلة والاهانة فى سبيل الحصول على الحطام الفانى لهوانه عندهم . وثقله على نفوسهم . وهذا بلا شك هو السقوط الذى لا خلاص منه والفقر الذى لا غنى معه وقد ورد أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصنى قال (عليك بالياس مما فى أيدي الناس . وإياك والطمع فإنه فقر حاضر)

الصفة السادسة - القناعة فى الدنيا والرضا منها باليسير فإن كان حريصاً على الدنيا منهمكاً فى طلبها كان حاله هذا داعية

الترغيب في حبها وحبها رأس كل خطيئة. وبذلك يكون
مفسداً لا مصلحاً وضاراً لا نافعاً والعيان أصدق شاهد على
ذلك . فإنه على قدر زهادة العلماء في الدنيا تكثر مكائدهم
في نفوس الأمة والتفافهم حولهم والاستماع لنصائحهم .
والانقياد لارشادهم وعلى قدر تعاق العلماء بالدنيا تكون زهادة
الناس فيهم وعدم الثقة بهم واتهامهم والنفرة منهم فلا
يسمعون لهم قولاً ولا يقبلون منهم نصيحة

الصفة السابعة . قوة البيان وفصاحة اللسان . وألا
كان النفع به بعيداً بل كان مثال الخزي والعار على الارشاد
وأهله وقد سأل الله موسى عليه السلام حين بعثه الى فرعون
بأبلاغ رسالته الا بانه عن حجته والا فصاح عن أدلته فقال
حين ذكر المقدمة التي كانت في لسانه والجلسة التي كانت في
بيانه (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) وقال (وأخى
هرون هو أفصح مني لساني فأرسله معي ردءاً يصدفني)
وقال (ويضيق صدري ولا ينطق لساني فأرسل الى هرون)
رغبة منه في غاية الافصاح بالحجة والمبالغة في وضوح
الدلالة لتكون الاعناق اليه أميل والعقول عنه أفهم

والنفوس اليه أسرع . وعلى الجملة ففوة البيان وفصاحة
اللسان من جلائل نعم الله تعالى على المرشد . بهما يملك
القلوب ويؤثر على الأرواح

الصفة الثامنة . معرفة أحوال الناس فإنه إذا كان
يجهل أحوالهم أخطأ كثيراً في علاج الأرواح وكان كطبيب
يدأوى جميع الأمراض بدواء واحد . وخطر ذلك على
الأبدان جسم فكذا على القلوب

الصفة التاسعة . التقوى والأمانة والتحرز لطاعة
الله تعالى عن مساخطه . فانها صفة المورث الذي هو
خلف عنه ولا يصح أن يكون فاسقاً في دينه فإنه بمنزلة
كبيرة ورتبة خطيرة فمَنْ لم يكن له تقوى تحجزه عن
ارتكاب المآثم وأمانة تزرعه عن اقتحام المحارم كان الضرر
به أكثر من الانتفاع . وأيضاً فإنه لا يقبل قول الفاسق
فتتلاشى على يديه وظيفة الإرشاد . وناهيك بأنها ولاية
شرعية ووظيفة دينية والفاسق لا يجوز أن يلي شيئاً من
أُمور المسلمين . ومثله لا يتحامي عن الفتيا بغير علم

الصفة المباشرة . كبر الهمة وشرف النفس ليتحقق
فيه مقام الوراثة فإنه مصباح دأع الى الله تعالى - وكل أنسا
يجذبه طبعه وتحمله جيلاته أثناء عمله الى ما عيل اليه - ومقا
الدعوة أحوج شيء الى ذكر التهاويل الرائعة والأشيا
المرغبة فكما كان المرشد أقوى نفسا وأعلا همة كان في ذلك
أَمْضى وعليه أقدر ومهما نقص في ذلك نقص من تأثيره
في نفوس السامعين

الصفة الحادية عشرة . البعد عن العقائد الزائفة
والاهواء الفاسدة كإنكار كرامات الأولياء فان ذلك يشوش
عليه كثيرا في سيره وينفر الناس منه - بل عليه عند الحاجة
أن يبين للناس ما صح من الكرامات شرعا وجاز عقلا
وعلى الجملة يجب على من يتصدى لأصلاح الناس أن يكون
حسن الطريقة مرضى السيرة عنوان الفضيلة ومثال الكمال
في أقواله وأفعاله وسائر أحواله . والا فهو فتنة في الأرض
وفساد كبير (حقا) لو توفرت في الواعظ والمرشد صفات
الكمال كان من غير شك وارثا نبويا وكوكبا يستضاء به
(حقا) لو تحقق المرشد بهذه الصفات سهل عليه أن يخرج

الناس من ظلمات الجهل الى أنوار العلم . وينقذهم من ذل المعاصي الى عز الطاعة . واستطاع أن يداوى أمراض القلوب ويهذب النفوس بما أوتي من مهارة وحكمة - وأمكنه أن يحول بين الأمة وبين النقائص والذائل بسور منيع من زواجره ونصائحها وترغيبه وترهيبه (يقيمنا) لو كان المرشد على ما وصفنا لاستولى على القلوب وتغلب على الأرواح يتصرف فيها كما يشاء . وفي ذلك كفاية . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

« آداب المستحبة »

ويحسن بالواعظ والمرشد أن يتحلى بأمور منها الورع باتقاء الشبهات والبعد عن مواضع الريبة . ومسالك التهمة فأن ذلك أبرأ لدينه مما يشينه وأسلم لعرضه من الطعن فيه وهذا أعون على الأقبال عليه والانقياد له لان حال المرشد يؤثر في القلوب أكثر من كلامه وهكذا كانت طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلية السلف الصالح من الصحابة والتابعين والهداة المرشدين ، وألا فلا خير لمشين

في دينه . ومطمعون عليه في عرضه — فقد رأى صلى الله عليه وسلم ثمرة ملقاة فقال لو لا أخشى أنها صدقة لأكتها .
وقدم على عمر رضى الله عنه مسك وعنبر من البحرين فقال
والله لو ددت أنى وجدت امرأة حسنة الوزن تزن لى هذا الطيب
حتى أقسمه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة أنا جيدة
الوزن فأنا أزن لك قال لا . فقالت لم ؟ قال لاني أخشى أن
تأخذه فتجعله هكذا (وأدخل أصابعه في صدغيه) وتمسح
به في عنقك فأصيب فضلا من المسلمين — وعن الفضيل
ابن عياض أنه كانت له شاة فأكلت شيئا يسيرا من علف
بعض الامراء فلم يشرب من لبنها بعد ذلك — وقيل
لابراهيم بن أدهم رحمه الله ألا تشرب من ماء زمزم فقال
لو كان لى دلو لشربت — اشارة الى أن الدلو من مال السلطان
فهو من المشتبه — وقال ابن المبارك رحمه الله لأن أرد درهما
من شبهة خير من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ومائة
ألف — وفي الاثر من وقف موقف تهمة فلا يأمن من
إساءة الظن به ولهذا لما من المصطفى صلى الله عليه وسلم
ومعه امرأته صفية وآه رجلان فأسرعا فقال لهما على وسلكما

أنها صنفية بنت حيى خوفاً عليهما أن يظنا به شيئاً فيهلكا
فقالا سبحان الله . وعظم ذلك عليهما . فقال أن الشيطان
يجرى من ابن آدم مجرى الدم وقد خشيت أن يقذف
في قلبك كما شرا . ومنه يعلم أنه ينبغي للرجل إذا حدث زوجته
أو محرمة على الطريق أن يقول هي زوجتى أو محررتى حتى
لا يتهم . وأنه ينبغي للأنسان أن يتحرز عن كل ما يوهم
نسبته الى ما لا يليق . وهذا متأكداً كد فى حق العلماء . فلا
يجوز أن يفلسوا ما يوجب سوء الظن بهم وان كان لهم
فيه مخلص . لأن ذلك سبب لعدم الانتفاع بعلمهم . قال الامام
على رضى الله عنه - أياك وما يسبق الى العقول أنكاره
وأن كان عندك اعتذاره - ومنها السكينة والوقار فى كل
أحواله حتى فى مشيئته وكلامه فذلك يكسبه الهيبة والأجلال
لدى الناس . وهو أدعى الى الانتفاع به - ومنها محبة الأصلاح
والتفانى فى خدمة الدين الحنيف بنشر فضائله بين الأمة .
ومحاربة البدع والمنكرات حتى ينهض بها الى أوج الفلاح
ودرج السعادة فأن ذلك خالق الانبياء والمرسلين . وصفة
قادة الأمم المجاهدين المخلصين أما الخمول المتواكل فإنه

تكلمة عدد . وعديم المنفعة - ومنها التمسك بسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم . والبعد عن البدع ظاهرا وباطنا .
وفي السر والملاينة ليكون على القدم المحمدى . وتسهيل عليه
الدعوة الى الله تعالى بخلاف التهاون في أمر السنة أو الميل
الى البدعة فإنه يرفع الثقة به ويجلب عليه سخط الناس -
كيف وهو ينصر السنة ويحارب البدعة ؟ - ومنها . أن
لا يطلب على الارشاد أجرا ، ولا يقصد به جزاء ولا
شكورا من أحد بل يعمل لوجه الله تعالى وطلبها لمرضاته .
وحسن مثوبته . وللتقرب إليه بهذه الوسيلة العظيمة إقتداء
بأمام المرشدين رسول الله صاوات الله وسلامه عليه ، ولا
يرى لنفسه منة على من يرشدهم ، وأن كانت المنة لازمة
عليهم لزوم الاطواق للاعتناق . فإنه السبب الاكبر لهدايتهم
الى الحق - فلا يطلب الاجر ألا من الله تعالى كما قال عز وجل
(ويا قوم لا أسألكم عليه مالا أن أجري ألا على الله) فإن
المال وما فى الدنيا خادم البدن . والبدن مطية النفس . والمخدوم
العلم أذ به شرف النفس . فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح
أسفل مئذنه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما . والخادم

مخدوما - وذلك هو الانتكاس على أم الرأس - نعم له كفايته
من بيت مال المسلمين عند الحاجة شأن كل من حبس نفسه
على مصلحة عامة من مصالحهم ، وعلى الجملة ينبغي للمرشد
أن يتحلى بالآداب الشرعية والاخلاق الدينية . حتى يكون
وارثا نبويا . وعالما ربانيا

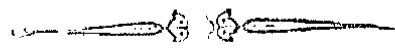
« آداب المرشد حال التأدية »

وهي كثيرة من أهمها أن يقتصر بالمسترشد على
قدر فهم فلا يلقى إليهم مالا تبلغه عقولهم ولا تسمع
مداركهم لصعوبته ودقته فأن ذلك ينفهم ويكون سببا
في حرمانهم من الاستفادة منه . أو يخطأ عليهم
عقولهم ويوقعهم في مكان الحيرة وذلك إفساد لا إصلاح
اقتداء في ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح
من بعده . فمن بن عمر مرفوعا . أمرنا معاشر الأنبياء أن
نكلم الناس على قدر عقولهم . وفي صحيح مسلم موقوف على
ابن مسعود ما أحديث قوم بالحديث لا تبلغه عقولهم ألا كان
فتنة على بعضهم وقال الامام علي رضي الله عنه وأشار الى صدره

أن ههنا لما وما حجة لو وجدت لها حجة : وصدق كرم
الله وجهه قلوب الأبرار قبور الأسرار - ولذا قيل كل
لكل عبد معيار عقله . وزن له ميزان فهمه - حتى تسلم
منه وينتفع بك . وألا وقع الإنكار لتفاوت المعيار ومن
أهمها أيضا - أن يكتفى بذكر الجلي اللائق بهم ولا يذكر
أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنهم . فأن ذلك يفتر
رغبتهم في الجلي ويشوش عليهم قلوبهم ويوهمهم البخل به
عنهم . اذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من
أحد الا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشد هم
حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله - وبهذا يعلم
أن من تقيد من الموام بقيد الشرع الشريف بحسب حاله
ورسخ في نفسه اعتقاد العقائد الماثورة عن السلف من
غير تشبيه ولا تأويل وحسنت مع ذلك سيرته ولم يحتمل
عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده
فأن ذلك موجب لحرمانه بل ينبغي أن يخلى وحرفته التي
هو فيها وطريقته التي هو سالكها فإنه لو ذكر له تأويلات
الظواهر انحل عنه قيد الموام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص :

فیر تمع عنه السد الذی یدنه و بین الشرور و القبائح و یتقلب
شیطاناً مریداً یهلك نفسه و غیره . بل لا ینبغی أن یخاض
مع العوام فی حقائق العلوم الدقیقة كما یقع من عوام المتصوفة
اذ یسمعون من مشایخهم بعض کلمات دقیقة فی علم الحقیقة
فیتشدقون بها فیضلون و یضلون - بل یختصر معهم علی
تعلیم العبادات و تعلیم الامانة فی الصناعات الی هم بصددھا
و عللاً قلوبهم من أنواع الرغبة و الرهبة بالجنة و النار و بلايا
الدنیا و أهوال یوم القیامة كما نطق به القرآن و صرحت
به السنة و الآثار الصحیحة - و لا یحرك علیهم شبهة فأنه ربما
تعلقت الشبهة بقلوبهم و یعسر علیهم حلها فیتقعون فی الشقاء
و الهلاك بسوء تصرفه و بالجملة لا ینبغی أن یفتح للعوام باب
البحث و الجدال فانه ضیاع لهم و ایس من الحسنة فی شیء (و منها)
ألا یأس من الاصلاح بل یتابر علی عمله فأن لم یظهر تأثیره
الیوم فقد یظهر غدا فأن الباطل زھوق و لا بد من یوم یتغلب
فیه الحق علی الباطل قال الامام علی رضی اللہ عنه لا قیام للباطل
الا فی غفلة الحق - و رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم لم یثن
عزمه عن الدعوة الی اللہ تعالی عناد أهل الغی والضلال

ومقابلتهم له بالانكار وايقاع الأذى به وباصحابه المجاهدين .
وفي نهاية الأمر كان الظفر لهم وحقق الله لهم وعده قال
تعالى (يأيها الذين آمنوا انت تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم) وقال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين) وجلة الأمر أنه لا يايق بالمرشد أن
يسأم اذا لم يؤثر عمله لأول مرة بل عليه أن يكرر العظة
مرة بعد أخرى كما يفعل الطبيب الناصح مع المريض .
يصف له الدواء على قدر الداء فإذا لم يفد وصف له غيره
وهكذا حتى يتم البرء ويصل به الى ساحل السلامة .
فالقلوب القاسية بتكرير النصيحة والتذكير بالعواقب تلين
بعد صلابتها قال تعالى (وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)
وبالله تعالى التوفيق



«الفصل الثالث - فى مصادر فن الوعظ والأرشاد»

مصادره على قسمين أولية وثانوية (فالأولية) هى
العلوم الدينية التى أساسها التوحيد وينبوعها الصافي كتاب
الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه (فعلم

العقائد) مبناه آيات التوحيد بل لا تزال آيات التوحيد قائمة
إلى يوم القيامة صالحة لتخاطب جميع العالم على اختلاف
العقول والمشارب والمال والنحل وهي بحقيقتها وقوتها
داحضة لكل شبهة ونغم الحاد المالحدين وزيف المارقين . وما
على المرشد إذا تعرض للعقائد ألا أن يرجع الى كتاب الله
تعالى ويستخرج للمسترشدين دور العقائد من بحر الفياض
ويكسوها بالثوب اللائق بها في مقام التخاطب حتى يورد
الآية أو الآيات دليلا على قوله - فلهذا تأثير عظيم في
نفوسهم والعيان شاهد على ذلك (وعلم التكليف العمالية)
التي سرها حفظ نظام العالم وأصلاح حال المعاش والمعاد
والإبلاء والاختبار فأن كان من العبد الامتثال فالمثوبة .
وأن كان الإباء فالمعقوبة مرجعه آيات الاحكام والسنة
الغراء (وعلم الاحلاق) الذي غايته أصلاح النفوس وأعداد
الانسان لان يكون انسانا حقيقيا يصاح للخلافة عن الله
في أرضه هو معظم آيات الكتاب والسنة - (وقسم السمعيات)
كذلك مرجعه الكتاب والسنة - اذا علمت هذا علمت
أن بحرك الداخل ومنهك الصافي الذي لا ينضب ماؤه .

وأستاذك الذي لا ريب فيه هو الكتاب والسنة ثم من
بعدهما كل كتاب في المقائد أو الأحكام أو الاخلاق
لا يبعد بك عن طريق الكتاب والسنة . وإن هذا المعنى
لتجده كثيرا في كتب الفحول من العلماء العامة . والهداة
للمرشدین الذين قهّموا في الدنيا ورضوا بالقایل منها . وعلقوا
قلوبهم بالله تعالى . وحصلوا العلم ليكون لهم وسيلة الى
الله عز وجل بأصلاح العباد كحجة الاسلام الأمام الغزالي
وأبي طالب المكي . والتمثال الشاشي . والراغب الأصفهاني .
وأضرابهم من العلماء المتشرعين المتحققين رحمهم الله تعالى
وجزاهم أحسن الجزاء فهو لاء قد انفردوا بدعوة الخلق إلى
الله تعالى وألفوا المؤلفات الصالحة التي انتفع بها العالم كله
حتى أعداء الدين في أخلاقهم ونظام حياتهم وكل هذا نتيجة
التحقق والمحاذاة للكتاب والسنة والآداب النبوية شبرا
بشبر وذراعا بذراع - فهذه هي مصادر الوعظ الأولية التي منها
يستمد لهذا أرشدك الى مزيد العناية بعلوم الكتاب والسنة
مستمينا في ذلك بحفظ القرآن الكريم وحفظ كثير من
الاحاديث الصحيحة أو الحسنة الوجيزة القريبة المعنى لتكون

أسرع الى التأثير عند سماعها . وناهيك بكتاب رياض
الصالحين للامام النووي رضى الله عنه وكتاب الترغيب
والترهيب للحافظ المنذرى فانهما نعم العدة والبضاعة الثمينة
للاواظ والمرشد كذلك أرشدك الى الرجوع كثيرا الى
كتب المتحققين لتستقى منها ما ينعش روحك . ويملا قلبك
ثقة بالله تعالى . ولا يتجافى مع أغراض الدين الحنيف الواضحة .
ودعهم فى شطحاتهم ومعمياتهم فلا حاجة للناس بها بل هى
رموز وضموها لا نفسمهم وأمثالهم والله تعالى يقول (قل
لا أسألكم عليه أجرا وما أنا من المتكافين أن هو إلا ذكر
للعالمين)

(القسم الثانى . المصادر الثانوية)

هى العلوم الوضعية سواء كانت آلة للعلوم الدينية
ومنها التاريخ والفلسفه أم لا كالعلوم الدنيوية التى يتوقف
على كثير منها نظام الحياة من الرياضية والطبية بل
الصنائع والفنون لقربها من فهم السامعين تفيد خطيب
تشبيهات ومقابلات وأمثالا يتوصل بها الى التعاليم الدينية
والمغازى الادبية يرشدك الى هذا أمعان النظر فى قوله

تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم) وعمّا تقدم تعلم أن مهمة الواعظ
من أكبر المهمات . ووظيفته من أعظم الوظائف .
وموقف المرشد في الحياة موقف القواد والعظماء والمجاهدين
المخلصين . وكما أنه لا بد لفائدة من أحكام العدة . وبعد النظر
وأصالة الرأي . كذلك لا بد للواعظ الديني أن يكون متضلعا
من العلوم الشرعية والاخلاق الدينية وعلوم الاجتماع .
كما أنه لا بد أن يكون محيطا تمام الأمانة بما يريد أن
يبينه للناس ملما بجميع أطرافه مستحضرا لما جاء فيه من
الآيات القرآنية وصحاح الأحاديث النبوية وآثار السلف
الصالح من الصحابة التابعين . والعلماء العاملين ليستطيع أن
يوفي الموضوع حقه . فتعظم فائدته . ويأمن من الخاط
والزال وبعد تمام الاستحضار يلقيه على السامعين مع المتأنى
والسكينة وأجابه السائل عن كل ما يحتاج إليه وتفهيمة على
على قدر استعدادده باللفظ والبساطة والحلم . وكل هذا
لا ينفى عنه من الوعظ والأرشاد شيئا الا اذا كان ماهرا
في طرق الارشاد عالما بكيفية التأثير على النفوس . واستمالة

القلوب وهى المهمة التى نحن بصدددها . وسيأتيك من وسائل التأثير ما فيه الكفاية

«الفصل الرابع - فى انواعه»

وهى ثلاثة - تعليم - وتأديب - وتهذيب (فالتعليم) يكون ببيان العقائد والتوحيد مراعى فيه ما يناسب كل طبقة . وبيان الأحكام الشرعية الخمسة من الواجب . والحرام : والمسنون . والمكروه . والمباح . مقرونا كل واحد منها بحكمة التشريع . فأن ذلك يسترعى الاسماع ويأخذ بمجامع القلوب

والتأديب - يكون بالترغيب والترهيب بأنواع البشارة والندارة والغاية منه حمل العاصى على التوبة والانابة الى الله تعالى . والطائع على الاستمرار فى الطاعة والاستقامة والتهذيب - يكون بتحديد الاخلاق الكريمة وبيان مزاياها فى المجتمع الانسانى والحث على التخلق بها وتحديد الاخلاق الذميمة وشرح مضارها والتنفير من الاتصاف بها . مستشهدا فى كل نوع من هذه الانواع بما جاء فيه

من الكتاب والسنة الصحيحة . وآثار السلف الصالح من
الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة . وأحوالهم في
ذلك رضى الله عنهم أجمعين

فأن لهذا شأنًا عظيمًا لا يستهان به في الوصول الى الغاية
المقصودة متى صدر من قلب سليم نقي طاهر من الأدناس
فأن الموعظة اذا خرجت من القلب وصلت الى القلب .
وأن خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان . وقد سئل
الحسن البصرى . ما بالنا نعظ الناس فنبتكيهم . وأنت تعظ
الناس فتبكي . فقال . ليست النائحة كالشكى والله الهادى
الى سواء السبيل .

«الفصل الخامس فى انشائه»

ينبغى فيه مراعاة المرشد لاستعداد السامعين فيتنزل
فى العبارة مع العامة على قدر عقولهم متجنبًا الألفاظ اللغوية
البعيدة عن مداركهم . ويتوسط مع الأوساط . ويتأنق
مع الخاصة . فيكون مع جميع الطبقات حكمًا يضع
الاشياء فى مواضعها . وفى كل حال يتجافى فى كلامه عن

كل زخرف باطل . لأن مقصوده لا يتوقف على الرواق
الظاهر والبهرجة الكاذبة بل على اختيار المعاني النفيسة
ومحوغها في قالب لطيف . وإلباسها ثوبا شفافا حسنا
مستمعينا في إبلاغها إلى أذهان السامعين . وإنفاذها في قلوبهم
بأيراد الشواهد عليها من الكتاب والسنة الصحيحة .
وآثار السلف الصالح . والحكم الثرية والشعرية . والملاح
التاريخية . والفكاهات الأدبية . وضرب الأمثال السهلة .
والمشاهدات الحسية . إلى غير ذلك مما يقتضيه المقام .
وبذلك يستطيع أن يسترعى الأسماع . ويملك القلوب .
حتى يقودها إلى مباشرة العمل . ويرد النفوس الشريرة عن
الغنى إلى الرشده وبذلك يمكنه أن يسحر الأبواب حتى ينسى
السامع من يقول . ويفكر فيما يقول . ويصالح نفسه بالتوبة
النصوح والسيرة المرضية . بهذا يسهل عليه أن يقتلع من
النفوس جذور الشرور والفساد . ويغرس فيها حب الخير
والصلاح وروح الألفة والاتحاد . وبهذا يصالح حال
الناس . وتنال السعادة في العاجل والآجل وبالله تعالى التوفيق

(الفصل السادس - في رعاية مقتضى الحال)

وينبغي للاواعظ أن يلاحظ ما يقتضيه احوال الأشخاص
والمجتمعات الخصوصية والعمومية . ويراعى الزمان والمكان
من القاء درس أو خطابة أو إيجاز أو اطناب فيما يقول .
فإن لكل مقام مقالا ولكل نفس إعراضا وإقبالا . وقد
يكون الدرس أنفع للقوم لاشتماله على الأخذ والرد
والوقوف على ما عساه أن يكون غامضا على السائل فلا
يمدل عنه إلى الخطابة . وقد تفضل الخطابة الواحدة ألف
درس في بعض المجتمعات والأوساط فلا يمدل عنها إلى
الدرس . كذلك لا يجوز أن يكون إلا المخوفاً وأولى الأبواب
الراجعة والمألوف الحاضرة . وأما الأطناب فهو مشترك
بين الخاصة والعامة ويكون مع الغبي والذكي

وليحمل القرآن الكريم في ذلك إماما يقتدى به
ومرشدا يهتدى بهديه . ألا ترى أنه إذا خاطب العرب
أخرج الكلام مخرج الوحي والاشارة لشدة ذكائهم وقوة
فطنتهم ورعاية عقولهم . وإذا خاطب غيرهم كبنى إسرائيل

أو حكي عنهم جمل الكلام مطولا مبسوطا معادا في
مواضع كثيرة ليعرفهم وتأخر معرفتهم واحتياجهم
إلى الأكتاف والإطالة. فما خاطب به مشركي العرب في
مقام الاستدلال على وحدانية الله تعالى وقدرته قوله تعالى
(إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له وإن يسألهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطلوب) وقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولما لا بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون) وغير خاف عليك ما جاء فيه عن
بنى إسرائيل. وعلى الجملة فإن الإيجاز موصفا كما أن الأطناب
موصفا فاستعمال أحدهما موضع الآخر خطأ واضح وعي
فاضح كما روى عن جعفر بن يحيى البرمكي أنه قال متى كان
الإيجاز أبلغ كان الأكتاف عيا. وقال الخليل يختصر الكلام
ليحفظ ويبسط ليفهم. وكانت العرب تطيل ليسمع منها
وتوجز ليحفظ عنها. فالأطناب إذا لم يكن منه بد فهو
إيجاز وهو في الوعظ خاصة محمود كما أن الإيجاز في الأفهام
ممدوح والمرشد الحازم النابه هو الذي يتفرس في حال

القوم ويتعين الفرص الملائمة للقيام بمهمته وبالله تعالى
التوفيق

الباب الثاني

« في الخطابة وفيه عدة فصول »

(الفصل الاول - في تعريف الخطابة وفوائدها)

الخطابة في اللغة كالخطاب وهي الكلام النفسى الموجه
به نحو الغير للأفهام . وفي اصطلاح الحكماء هي صناعة
تتكاف الاقناع الممكن في كل مقولة من المقولات
« الباب الثانى » - معنى كونها صناعة أنها مجموع قوانين
متعلقة بكيفية العمل فرشد الانسان الى طريق الاقناع
وتتولى ترغيب الجمهور وحملهم على ما يراد منهم ومعنى تكلفها
الاقناع الممكن أنها تتجرى في كل مسألة ما يفيد الاقناع
وإن لم تتمكن دائماً من ادراك غايتها لما منع قام . فشاؤها كشأن
باقى الصناعات التى تعد النفس لعمل خاص بمقتضى قوانين
محدودة وإن لم تبلغ تلك الصناعات غايتها كالطب الذى غايته